الحرف والمهن المرتبطة بالصناعات الورقية في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٧٩هـ/١٠٣١-١٠٨٦م)

أسماء أحمد عبد الكريم عبد الغني (*)

يعتبر عصر ملوك الطوائف من أزهى الفترات علميًا للتنافس العلمى بين دويلات الطوائف، فكانت الأندلس موزعة إلى دويلات وإمارات شتى ينضوى زعماؤها وقادتها تحت ثلاث مجموعات رئيسية وهم: العرب والمولدين والبربر والصقالبة. وانشقت منهم ثلاث وعشرون دويلة، وهكذا لم تعد الأندلس تخضع لحاكم واحد، فاستقل بأمرها ملوك غدروا ببعضهم البعض، وأحالوا الأندلس إلى مصرح من التناحر والصراعات، وأختلفت أوضاع أهل الحرف والمهن بأختلاف الأوضاع السياسية، فأستتاب الأمن وانتشار العدل وكثرة الأرزاق واتساع المعايش وقلة الضرائب عاملًا رئيسيًا في ازدهار الصناعات والحرف وتطورها وثراء أصحابها بصفة عامة والوراقة بصفة خاصة، لذلك اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الجمع والنقد والتحليل لمعرفة أرباب مهنة الوراقة في فترة عصر ملوك الطوائف وخاصة بعد انتشارها بشكل كبير في عصر الخلافة الأموية.

انتشرت صناعة الورق وتطورت في العالم الإسلامي بصفة عامة، ويرجع ابن خلدون سبب انتشارها وتطورها إلى إتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة التأليف العلمي والدواوين وما يحتاج إليه الناس من كتب الصدقات والعقود والبياعات والاجارات إلى غير ذلك، فحرص الناس على تناقلها(١). فعرف الأندلسيين صنفي الورق اللذين انتشرا في العصور الوسطى، وهما: الكاغد، والرقاق(٢)، وأكدت المصادر الجغرافية على شهرة العديد من المدن الأندلسية بإنتاج الورق مثل شاطبة التي اشتهرت بالكاغد الطيب، وتعد مركز صناعته في

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [" الحرفيون وأرباب المهن في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف " (٤٢٢-٤٧٩هـ/١٠٣١-١٠٨٦م)]، تحت إشراف: أ.د. جمال أحمد طه – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. أميمة أحمد السيد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد السلام عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢، ص١٢٨.

(٢) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، د.ت، ص٣٨٤.

العصور الوسطى[١]، وكانت مدينة مالقة من أهم مراكز التجليد الفاخر في الأندلس[٢]، ونتيجة لذلك نهضت صناعة الورق نهضة كبرى، لذا امتدحها المقدسي، قائلًا "أحذق الناس في الورقة خطوطهم مدورة"[٣].

انتشر في بلاد الأندلس سوق الكتب[٤]، أو سوق الوراقين، حيث يجرى فيه عملية نسخ الكتب وبيعها[٥]، فأصبحت مهنة الوراقة عملاً تجارياً مربحاً للكثير من العلماء والأدباء وأول ما عرف منها هو نسخ الكتب والوثائق أو حرفة النساخة: فصاحبها النساخ، وعليه أن لا ينسخ بالحبر الذي يخرق الورق لما فيه من اضاعة للعلم المكتوب به واضاعة للمال، ولا ينسخ أيضًا بالحبر الذي يمحى من الورق سريعًا، ولا يكتب بالمداد الذي يسود الورق ويخلط الحروف بعضها ببعض[٦]، ولابد أن يكون حسن الكتابة، قليل اللحن، عالمًا بالأمور الشرعية، عارفًا بما يحتاج إليه من الحساب، متحليًا بالأمانة، سالكًا طرق الديانة والعدالة، داخلًا في سلك الفضلاء، ماشيًا على نهج العلماء الأجلاء[٧].

الوراقين أو الخطاطين: هم الذين ساهموا بجهود عظيمة في الحضارة الإسلامية الأندلسية تمثلت في المحافظة على كثير من ألوان الإنتاج العلمي الأندلسي عن طريق النسخ والتجليد الفاخر لعدد كبير من الكتب والمخطوطات ونجاهما من يد الضياع، فأكدوا بأعمالهم أنهم كانوا حراسًا أمناء على التراث العلمي والأدبي للمسلمين[٨]، ولابد أن يتصفوا بحسن الخط والضبط لما يكتب،

(١) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م، ج١، ص٧٤.
(٢) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة،١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج٥، ص٢١٩.
(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٧م، ص٢٣٩.
(٤) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة بحوث ودراسات رقم (٢٢)، الرباط، ط٢، ص١٩٩٧م، ص١٧٩.
(٥) حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار القباء، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص ٦٧.
(٦) ابن الحاج: كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، مطبعة دار التراث، القاهرة، د.ت، ج٤، ص٨٠.
(٧) ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج١، ص٢٠٠.
(٨) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٤٨٨هـ/١٠٣٠-١٠٩٥م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ/١٩٨٥-١٩٨٦م، ص٢٣٥.

وعلى معرفة ودراية لأنواع الكتب وأقدارها وخطوطها بحيث يستطيعوا تلبية حاجات عملائهم، واتقانهم للغة العربية ومعرفة الألفاظ واشتقاقها، والصبر وقوة التحمل، ولديهم أمانة على ما يكتبونه، وفى العادة تجدهم من أهل الآدب لكثرة مزاولتهم النظر في الكتب(١)، أما الرقاقين: هم تجار الأدوات الكتابية، وفى بعض البلاد العربية يسمى الدكان بالقرطاسية(٢).

ازدهرت تلك الحرفة في بلاد الأندلس خلال عصر الولاة، ولا سيما فيما يتعلق بتجهيز النسخ الجذابة للقرآن الكريم، ويستمر ازدهارها في عصر الخلافة، فنجد الخليفة المستنصر اعترف العلماء له بالعلم وسعة الاطلاع والدقة في التصويب، وقد جمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لم يجمعه غيره من الملوك قبله، واشتراها بأغلى الأثمان(٣)، وأمتلأ قصره بالحذاق والمهرة ؛ ومنهم ومنهم محمد بن يوسف الوراق الذي ألف كتابًا ضخمًا في "مسالم إفريقيا وممالكها"(٤)، وجلب من بغداد ومصر وغيرها من بلاد المشرق عيون التواليف النفيسة والمصنفات الإسلامية وغير الإسلامية، وجمع منها في بقيه أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهى ما جمعتهُ ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة وتهيأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبُعد همَّتهِ في اكتساب الفضائل وسموّ نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك(٥)، لدرجة أنه لم يكتفى بما جمعه من

(١) المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: علي سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٤م، ص٢١١؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٨٥؛ خميسى بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس فى عصر ملوك الطوائف(٤٠٠-٤٧٩هـ/١٠٠٩-١٠٨٦م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ/٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص١٢٨.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٣٨٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٧، ص٣٦٩؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢٣، ص٢٣٤؛ سهى محمود بعيون: كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، السنة الرابعة، ع(٧)، ص١٤٩.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس(وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه، والأدب، والأدب، وذوي النباهة والشعر)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٩٧؛ جودة هلال ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٠ ؛ محمد ماهر حمادة:الكتب والمكتبات في الأندلس، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ع(٦)، السعودية، ١٩٨٢م، ص ٣٥٦.

(٥) ابن صاعد: طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي والفهارس: الأب لويس شنجو البسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ١٩١٢م، ص٦٦؛ ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م،

مؤلفات، بل كان يطالعها ويعلق عليها حتي أصبح حجة في النقد لـه احترامـه[١]، ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب واضح، ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوه[٢]، ويذكر عمر بن عبيد الله (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) أحد علماء قرطبة حينما حدثت الفتنة، قائلًا: "شددت في دارى بالربض الغربى ثمانية أحمال من كتب لإخراجها إلى مكان غيره، ولم يتم لى العزم، حتي انتهبها البربر"[٣]، وكان ذلك عاملًا في إزدياد عمليات إعادة النسخ في عصر ملوك الطوائف، على الرغم من الفوضى السياسية والضعف العسكرى والإنهزام النفسي الذي منى به الكثير، فترتب على ذلك بروز روح تنافسيه بين الوراقين عامة وملوك الطوائف خاصة [٤].

كانت مدن الأندلس غنية بالمكتبات الخاصة والعامة فملك العديد من الأمراء والخلفاء مكتبات ضخمة مثل مكتبة قصر الخليفة الناصر التي تكونت منها مكتبة الحكم المستنصر فاحتوت على مجموعة كبيرة من الكتب المفيدة التي كانت موضع فخر[٥]، وكان الأغنياء يتباهون بكتبهم المجلدة بالجلد القرطبي، ومحبو الكتب يجمعون النادر المزخرف منها[٦]، وعمل في مكتبة القاضي أبو

ج١، ص٢٢٧؛ سامية مصطفى محمد مسعد: الوراقة والوراقين في الأندلس" من عصر الخلافة حتي نهاية عصر الموحدين"، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٨؛ محمد كرد علي: غابر الأندلس وحاضرها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص٤٧.

(١) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم و لطفى عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص١٠٧.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ج٤، ص١٨٨؛ المقرَّي: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م،ج١، ص٣٨٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٦٢.

(٣) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٠م ، ج٢، ص ص١٢، ١٣.

(٤) سامية مصطفى:المرجع السابق، ص ١٤؛خميس بولعراس:الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس، ص ١٢٧.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٣؛ عمر زعل: الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، رسالة دكتوراة، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩م، ص٤٠.

(٦) عبد الرحمن علي حجي: التاريخ الأندلسي"من الفتح الإسلامى حتي سقوط غرناطة٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م"، دار القلم، دمشق، ط٢ ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٤١٥؛ ول

المطرف بن فطيس(ت٤٠٢هـ/١٠١١م)[١] ستة وراقين لا يتقاضون أجرهم على ما ينسخون فقط، بل يتناولون أجرًا ثابت القيمة[٢]، وكان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو نسخه فلما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد وكان ذلك وقت الفتنة والغلاء؛ فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم[٣]، وكذلك امتلك أحمد بن عباس(ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)[٤] وزير زهير العامري (٤١٩-٤٢٩هـ/١٠٢٨-١٠٣٨م)[٥] مكتبة تضم أربعمائة ألف مجلد[٦].

لذا ازدهرت حرفة الوراقة وارتقت، فكان الوراقون ينسخون الكتب للمؤلفين، وأصبح من الشائع آنذاك أن يكون للمؤلف وراقة الخاص، كذلك نسخوا المؤلفات للأمراء والأغنياء الذين يرغبون في تأسيس مكتبات لهم[٧]. فاعتنى على إقبال الدولة حاكم دانية وجزر البليار بجمع الكتب وإقتناء المكتبات فامتلأ "قصر الحبور" بالمتخصصون في شتى اختصاصات "الوراقة والنسخ"

واريريل ديورانت: قصة الحضارة "عصر الإيمان"، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، د.ت، مج٤، ج٢، ص٣٠٧.

(١) أبو المطرف بن فطيس: اشتهر بالزهد والفقه الصلابة، فقلد المظالم والأحكام للمنصور بن أبي عامر ومن بعده، فقام بها أحسن قيام وولى قضاء الجماعة للمظفر عند صرف ابن ذكوان الأول تسعة أشهر. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، صححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) ابن بشكوال: كتاب الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، مج١، ص٣٣٠.

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ج١، ص٤٧٨.

(٤) أحمد بن عباس: يكنى أبا جعفر، وكان كاتبًا حسن الكتابة، بارع الخط فصيحًا، غزير الأدب، قوى المعرفة، شارعًا في الفقه، مشاركًا في العلوم، وكان حسن الخلقه، وجميل الوجه. ابن الخطيب: الأحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م، مج١، ص٢٥٩.

(٥) زهير العامرى: هو فتى المنصور بن أبي عامر، وحاكم المرية إحدى ممالك الطوائف التي ضمت المرية ومرسية وأعمالهما خلفًا لخيران العامري حاكم المرية في جمادى الأولى ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م، وحتي مقتله في شوال ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م بقرية الفنت خارج غرناطة. ابن عذاري: البيان في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ج٣، ص١٦٦؛ ابن الخطيب: المصدر نفسه، مج١، ص٥١٧، ٥٢٠؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠٨.

(٦) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس "دولة الطوائف منذ قيامها حتي الفتح المرابطي"، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٤٣٧.

(٧) حامد الشافعى دياب: الكتب والمكتبات، ص٦٠.

واشتهر من بينهم محمد البشكلاري(كان حيًا سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)[١]، وكذلك المظفر بن الأفطس(٤٣٧-٤٦١هـ/١٠٤٥-١٠٦٨م)[٢] صاحب كتاب المظفري الذى يقع فى خمسين مجلدًا[٣]، وكذلك المؤتمن بن هود(٤٧٤-٤٧٨هـ/١٠٨١-١٠٨٥م)[٤]حاكم سرقسطه صاحب كتاب الأستكمال[٥]، وكان مجاهد العامري محبًا للكتب وساعيًا إلى إقتنائها حتي أنه "جمع من دفاتر العلوم خزائن جمة"[٦]، وحرصت بني عباد على إقتناء الكتب، فنجد شرف الدولة ابن المعتمد يصفه ابن اللبانه بقوله:"حريص على طلب الأدب، ومسارع في إقتناء الكتب، مثابر على نسخ الدواوين، مفتح فيها من خطه زهر الرياحين"[٧]، وكذلك الفقيه ابن الصابوني القرطبي(ت٤٢٣هـ/١٠٣١م) كان "دؤوبًا على النسخ ، جماعة للكتب، جيد الخط"[٨]، وسعى ابن النغرالة (ت٤٤٧هـ/١٠٥٥م) [٩] إلى توفير

(١) عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية "التاريخ الإسلامى لجزر البليار(٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٧-١٢٨٧م)"، دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثانى ١٩٨٤م، ص٥٢٤. محمد البشكلاري: يرجع أصله من بشكلار وادى قنبانية، ويكنى أبا محمد وهو فقيه محدث عارف، وكان حيًا سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م. الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة وبيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص ص٤٤٧، ٤٤٨

(٢) المظفر بن الأفطس: كان سيف الدولة المظفر فاضلًا عالمًا وشجاعًا وفارسًا، محبًا لأهل العلم، جمّاعة للكتب، ذا خزانة عظيمة، لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب وعلمه. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص ص٣١٧، ٣١٨؛ ابن الخطيب: تاريخ أسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٥٦م، ص١٨٣؛ المقرّي: نفخ الطيب، مج٣، ص٣٨٠.

(٣) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ت، ص٤٢١؛ ابن الآبار: المصدر السابق، ج١، ص٣١٨؛ الزجالي: أمثال العوام في الاندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، د.ت، ج١، ص٥٦؛ المقرّي: المصدر السابق، ج١، ص٤٤٢؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٨٧؛ إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م، ص٤٦.

(٤) المؤتمن بن هود: كان رجلًا عالمًا، طالع الكتب، وزهد في كثير من الدنيا. عبد الله بن بلقين: مذكرات عبد الله بن بلقين المسماة بكتاب"التبيان"، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص٧٩.

(٥) المقرّي: المصدر السابق، ج١، ص ٤٤١ .

(٦) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ق٣، مج١، ص٢٣.

(٧) المقرّي: المصدر السابق، ج٤، ص٩٦.

(٨) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج٢، ص٢٩٤.

(٩) ابن النغرالة: رئيس الوزراء أو الحاجب إسماعيل بن نغرالة اليهودى الذي استمر في هذا المنصب طوال عهد دولة بني زيري الصنهاجيين في غرناطة، وغدا له من النفوذ والسلطان ما جعل الكثير من اليهود يسيطرون على الكثير من مناصب الدولة نظرًا لتقريبه

نساخ كثيرون ينسخون له التلمود والمشنا، ليهديها إلى تلاميذه الذين لا يستطيعون شراءها، بل ويرسلها إلى الراغبين من اليهود في بقية مدن الأندلس، أو خارجها فى شمال إفريقيا وصقلية وبيت المقدس وبغداد والقاهرة ، وأدى ذلك لتأصيل الدراسات العبرية فى الأندلس، ورفع المستوى الثقافي ليهود غرناطة(١)، وعبد الرحمن بن محمد(ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م)، يعرف بابن الحصار"كان حسن الخط، جيد الضبط، وكانت أكثر كتبه بخطه، وكان صبوراً على النسخ"(٢)، وكان سليمان بن محمد، المعروف بالشيخ(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) "خطاطًا بارع الخط في المصحف"(٣).

أما حرفة التسفير: صاحبها المسفر، ويتصف بالمعرفة والدراية والقدرة على اتصال الكلام، فلا يقدم الكراريس ولا الأوراق عن مواضعها(٤). واستخدم الكثير من الآلات الخاصة للتجليد، ومنها: البلاطة، والمقص، والشفرة، والمسن، والإبر، والسيف، والمعصرة،...وغيرها(٥).

اهتم الأندلسيون في عصر ملوك الطوائف بالقرآن الكريم اهتمامًاعظيمًا وعناية فائقة في نسخه وخطه أو تجليده وزخرفته. إذ كان يقرأه التلاميذ في المدارس، ويتلوه المصلون في صلاتهم، ويقرأ ويرتل في المساجد إلى غير ذلك(٦)، فخلف الأمير عبد الله(٤٦٥-٤٨٣هـ/١٠٧٣-١٠٩٠م) (٧) أمير غرناطة

لهم مثل إسحاق بن إسحاق. ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٢٦٤؛ ابن الخطيب: الأحاطة، مج١، ص ص٤٣٨، ٤٣٩.

(١) الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م، ص٥٧.

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١، ص ص٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) ابن بشكوال: كتاب الصلة، مج١، ص٢٢٦.

(٤) ابن الحاج: المدخل، ج٤، ص٩٠.

(٥) المعز بن باديس: عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب، تحقيق: عبد الستار الحلوجي و على عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٧، ج١، ط٢، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، مج١٧، ج١، ص١٥٣.

(٦) خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج(٤)، ج(١)، شوال ١٣٧٧هـ/مايو ١٩٥٨م، ص٩٤.

(٧) الأمير عبد الله: هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس، الملقب بالمظفر، والملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة التي أسسها فرع منحدر من عائلة بني زيري البربرية الصنهاجية، وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة. عبد الله بن بلقين: التبيان، ص٧؛ ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج٢، حاشية (٨)، ص٨٠٧؛ العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٨، ص١٨٤.

ضمن ذخائره قطعه من القرآن" بخطة فى نهاية الصنعة والاتقان"[١]، وبدأت الزخرفة للمصحف الشريف على الصفحات المكتوبة على رءوس السور والفواصل بين الآيات وعلامات الأحزاب والأجزاء، غير أن الورقتين الأولى والثانية وفيهما فاتحة القرآن وبدء سورة البقرة هما اللتان عنى بهما عناية كبيرة، حتي كانتا تزدحمان بالزخارف التي كانت سرًا من أسرار الصناعة يتلقاه الصبيان عن معلميهم في الفن والمهنة[٢].

أما حرفة التذهيب: خاصة بالمخطوطات والمصاحف، فعندما يقوم الخطاط بكتابة المخطوط يترك الفراغات اللازمة لتزيين بعض صفحات الكتاب وحواشيه وبدايات الفصول ونهاياتها، فضلًا عن الصفحات الأولى والأخيرة، ويقوم بهذا العمل فنان متخصص في رسم الزخارف بالألوان المختلفة، ثم يسلم المخطوط بعد ذلك للمذهب الذي يقوم بتذهيب وتلوين هذه الرسوم. وأجاد بعض الرسامين التذهيب أيضًا، لذا اقرنوا كلمة مذهب لأسمائهم[٣].

وهكذا اهتم ملوك الطوائف بمهنة الوراقة وأصحابها من الوراق والنساخ والمجلد والمذهب؛ بالإضافة لاهتمامهم بجمع الكتب وإقتناء المكتبات على سبيل المثال المظفر بن الأفطس حاكم بطليوس، وكذلك المؤتمن بن هود حاكم سرقسطه، ومجاهد العامري حاكم دانية وجزر البليار، وكذلك أسرة بني عباد حاكمة إشبيلية وغيرهم، مما أتاح ذلك خدمة العلم والتعليم ببلاد الأندلس والأبداع في كتابة المصاحف والكتب وتزيينها وتسفيرها.

(١) ابن الخطيب: الأحاطة، ط١، ١٩٧٥م، مج٣، ص٣٨٠.
(٢) زكي محمد حسن: في الفنون الإسلامية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة،القاهرة، د.ت، ص ص٣١، ٤٠.
(٣) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٣، ص٢٣٥؛ سهى محمود بعيون: كتابة المصاحف، ص١٥٠.

أولًا: المصادر العربية:

١- ابن الآبار، محمد بن أبي عبد الله (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢- ابن الأثير، على ابن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣- ابن بسام، أبى الحسن بن بسام(ت٥٤٣هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٤- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود(ت٥٧٨هـ/١١٨٢م): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

٥- _____: كتاب الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٦- ابن بلقين، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس(ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م): مذكرات عبد الله بن بلقين المسماة بكتاب "التبيان"، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.

٧- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي(ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م): كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، مطبعة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

٨- التادلي، أبى يعقوب بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات(ت٦١٧هـ/١٢٢٠م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة بحوث ودراسات رقم (٢٢)، الرباط، ط٢، ص١٩٩٧م.

٩- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله(ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه،

والأدب، وذوي النباهة والشعر)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٠- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله الغرناطي(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): تاريخ أسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٥٦م.

١١- _____: الأحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، المجلد الأول، ط٢، ١٩٧٣م. المجلد الثالث، ط١، ١٩٧٥م.

١٢- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون المسمى"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الفكر، بيروت، لبنان،٢٠٠١م.

١٣- _____: مقدمة ابن خلدون، تحقيق:عبد السلام عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ت.

١٥- الزجالي، أبى يحيى عبيد الله بن احمد بن محمد(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م): أمثال العوام في الاندلس، تحقيق وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، (د.ت).

١٦- ابن صاعد، أبى القاسم صاعد بن أحمد(ت٤٦٢هـ/١٠٦٩-١٠٧٠م): طبقات الامم، نشره وذيله بالحواشى والفهارس: الأب لويس شنجو البسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ١٩١٢م.

١٧- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرى واللبناني، القاهرة وبيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٨- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد(ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.

١٩- ابن فرحون، إبراهيم بن على بن فرحون(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

٢٠- _____: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تعليق: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢١- القاضى عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي(ت٥٤٤ه /١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، صححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٢- القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي(ت٨٢١هـ/١٤٢٢م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة،١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

٢٣- المالقي، أبو القاسم بن رضوان(ت٧٨٣هـ/١٣٨١م): الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: علي سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٤م.

٢٤- المعز بن باديس، المعز بن باديس بن منصور بن بلكين(ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م): عمدة الكتاب وعدة ذوى الالباب، تحقيق: عبد الستار الحلوجى و علي عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج(١٧)، ج١، ط٢، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

٢٥- المقدسي، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر(٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٧م.

٢٦- المقرَّي، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٢٧- مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ج١، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م.
٢٨- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ٢٠٠٤م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

١- إحسان عباس(دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م.
٢- جودة هلال ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣- _____: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٤- حامد الشافعي دياب(دكتور): الكتب والمكتبات في الأندلس، دار القباء، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
٥- حسين مؤنس(دكتور): معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، (د.ت).
٦- زكي محمد حسن: في الفنون الإسلامية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة،القاهرة، د.ت.
٧- سامية مصطفى محمد مسعد(دكتورة): الوراقة والوراقين في الأندلس" من عصر الخلافة حتي نهاية عصر الموحدين"، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٠م.
٨- السيد عبد العزيز سالم(دكتور): قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،ج٢، ١٩٩٧م.

٩- الطاهر أحمد مكي(دكتور): دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.
١٠- العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١١- عبد الرحمن علي حجي(دكتور): التاريخ الأندلسي"من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م"، دار القلم، دمشق، ط٢ ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
١٢- عصام سالم سيسالم(دكتور): جزر الأندلس المنسية "التاريخ الإسلامى لجزر البليار(٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٧-١٢٨٧م)"، دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثانى ١٩٨٤م.
١٣- مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم ولطفى عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
١٤- محمد عبد الله عنان(دكتور): دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٥- محمد كرد علي: غابر الأندلس وحاضرها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت.
١٦- ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة" عصر الإيمان"، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، مج٤، ج٢، (د.ت).

ثالثًا: الدوريات:

١- خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، شوال ١٣٧٧هـ/مايو ١٩٥٨م.
٢- سهى محمود بعيون: كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، السنة الرابعة، ع(٧).
٣- محمد ماهر حمادة: الكتب والمكتبات في الأندلس، مجلة كلية العلوم الاجتماعية،ع(٦)، السعودية، ١٩٨٢م.

رابعًا: الرسائل العلمية:

١- خميسى بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس فى عصر ملوك الطوائف(٤٠٠-٤٧٩هـ/١٠٠٩-١٠٨٦م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ/٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

٢- سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٤٨٨هـ/١٠٣٠-١٠٩٥م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ/١٩٨٥-١٩٨٦م.

٣- عمر زعل محمد المزايدة: الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، رسالة دكتوراة، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩م.